في الدعوة والحركة

الجهـر بالحـق (٥)

الأخ نبيل شبيب

موجز ما سبق(*)

يستهدف هذا البحث استخلاص بعض معالم واجب الجهر بالحق وتحديد مقاييس له لإحياء قضية أدائه في فكرنا وواقع عملنا الإسلاميّ .. وكان الفصل الأول بعنوان : الجهر بالحق وقضية الحكم ، فبيّن أهمية الجهر بالحق في فترة سواد الظلم بصورة خاصة لإقامة الحياة الإسلاميّة والحكم الإسلاميّ .. وكان الفصل الثاني بعنوان : الجهر بالحق بين العلماء والعامّة ، فبيّن أن واجب الجهر بالحق واجب كلّ مسلم بحسب علمه واستطاعته وموضعه ، وهو على العالم أوجب .. وكان الفصل الثالث بعنوان : لماذا لا نجهر بالحق دائماً ؟ .. فأعاد الأسباب إلى سببين رئيسيين هما الخوف ممّا لا ينبغي الخوف منه والطمع فيما لا ينبغي الطمع فيه .. وكلاهما يدور حول أعذار ومبرّرات مرفوضة

كلمة حقٍّ بين الفصول

قبل متابعة البحث في الفصلين القادمين إنّ شاء الله : كيف نجهر بالحق ومتى ؟ .. ومقاييس ومعايير ، أود التوقف عند بعض الأفكار التي دارت حولها مناقشات مع بعض الإخوة في الموضوع .. ومنها ما يتعلّق بعملية الربط بين ما قيل في الفصول الثلاثة السالفة استخلاصاً من القرآن والسنة واعتماداً على فهم العلماء وتطبيقهم في مواقف تجد التقدير من المسلمين على مدى العصور .. وبين واقع المسلمين في هذه الأيام

والحقيقة أن الهدف من البحث هو هذا الواقع ، فكما جاء في المقدّمة ، الهدف الأكبر من البحث هو إحياء قضية الجهر بالحق في واقع المسلمين العاملين وواقع ممارسة دعوتهم إلى الله في كلّ ميدان ومكان ، ويمكن اعتبار الكلمات التالية مقدّمة للفصل القادم بعنوان : كيف نجهر بالحق ومتى ؟ .. ويوجب هذه المقدّمة واقع مؤلم يحتاج إلى الجهر بكلمة الحق فيه ، وهو واقع يمسّ العاملين للإسلام في الدرجة الأولى ..

إنّ كثيراً ممّا نقول ونكتب ونعقد من أجله المؤتمرات والندوات ونسوّد به صفحات الكتب الإسلاميّة والمجلات .. هو من الأمور المتفق عليها بين غالبية المسلمين نظرياً ، وبين غالبية العاملين للإسلام بصورة خاصة .. فإذا نظرنا إلى واقع عملنا الإسلاميّ نجد من النادر إلى حدٍّ كبير أن تنتقل هذه الأمور المتفق عليها إلى واقع تطبيقي نمارسه ونعيشه ونتغيّر به ونغيّر ..

والمشكلة في اعتقادي ليست مشكلة الحاجة إلى بيان ، فما يجهل أحد منّا قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ ... **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ... ﴾(٨٨) ، وقوله جلَّ وعلا : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾(٨٩) . ولا يجهل أحد منّا أن القرآن العظيم حافلٌ بالآيات التي تربط بين الإيمان والعمل ..

وقد يقول قائل : بيان ذلك واجب من باب التذكير .. وأقول : وهل يمكن أن يبلغ مفعول تذكيرنا –ولقد أمرنا الله به– ما لا يبلغه القرآن الكريم منّا ونحن نتلوه بحمد الله صباح مساء ؟ ..

وقد يقول قائل : بيان ذلك واجب من باب الحثّ على شرح المعاني وتدبّرها .. وأقول : وهل في هذه القضية التي يشرحها القرآن العظيم أوسع شرح ويبيّنها بالبيان المعجز ما لا يزال غامضاً على أحد منّا ؟ ..

الحقيقة البسيطة هي أن الكلمة في حياتنا لم تعد لها قيمتها التي أرادها الله عزَّ وجلَّ أن تكون هي المعيار في صدق الإيمان .. ونردّد الحديث كثيراً عن مسؤولية الكلمة ، والجزاء على الكلمة ، ودور الكلمة ، ويبقى حديثنا نفسه مجرّد (كلمة) بقيمة ناقصة ، لأنّها لا تتحوّل إلى عمل

وهذا مما يدفع الكاتب أحياناً إلى التساؤل : ما الفائدة ممّا يكتب ؟ .. لا سيّما وأن محور القضية هو (الكلمة) والجهر بها حقاً مغيّراً للواقع الباطل .. هل يتحدّث عن (كيفية الجهر بالحق) قبل أن يستقرّ في النفس بعض الاطمئنان بأن الحديث ينتقل إلى ممارسة ؟ ..

وقد يقول قائل : هذه نظرة (متشائمة) ، تتجاهل ما نلمسه –بحمد الله– من ظهور بوادر التغيير ، لا سيما على مستوى الشبيبة المسلمة .. وأقول : إنّ من مشكلاتنا أنّنا قليلاً ما نقرّ بحقيقة الواقع كما هو ، لا سيما عندما يمسنا هذا الإقرار مباشرة ويمسّ عملنا الإسلاميّ ، فليست المشكلة أنه لا يحدث تغيير أصلاً ، إنّما في حقيقة أن هذا التغيير أو بوادر التغيير ، ولا تزال أضأل حجماً ، وأضعف مفعولاً ، وأبطأ سرعة .. ممّا يوجبه علينا الإسلام في هذه المرحلة التاريخية بالذات ، ونحن نرى محاصرة الإسلام والحرب على الإسلام ، تنمو حجماً ، وتشتدّ مفعولاً ، وتزداد سرعة .. بصورة يبرز معها عملنا لمواجهة ذلك –فضلاً عن تجاوزه وممارسةُ عملية البناء –دون مستوى الإسلام نفسه ، ودون مستوى العصر الذي نعيش فيه

إذا أقررنا أن واجب الجهر بالحق –كما جاء في الفصل الأول– واجب كبير ، يزداد إلحاحاً في قضية الحكم بالذات ، ولا سيما في فترة سواد الظلم في الأرض وعلى العباد ، وأقررنا بأن الحكم الإسلاميّ كما أراده الله مفقود في بلادنا الإسلاميّة ، وأن الظلم والفساد شائعان شيوعاً كبيرا .. فما قيمة الإقرار دون ممارسة ؟ .. إنّ بحث هذا الموضوع لا قيمة له أصلاً إلاّ إذا اقترن بالممارسة الواقعية التطبيقية

وإذا أقررنا أن واجب الجهر بالحق -كما جاء في الفصل الثاني- واجب عامّ على كل مسلم بحسب علمه واستطاعته وموضعه ، وهو على العالم بالإسلام وبالواقع أوجب .. وأقررنا بأنّ عامّة المسلمين على اختلاف مستويات علمهم واستطاعتهم وتباين مواضعهم وأن عامة علماء المسلمين الخبيرين بالإسلام والعصر لا يؤدّون هذا الواجب كما ينبغي ، فما الفائدة من هذا الإقرار إذا لم ينتقل في حسّ المسلم وواقعه وحسّ العالم وواقعه إلى تطبيق حيّ مغيّر ؟ .. إنّ المسؤولية في ذكر ذلك والإقرار به لتزداد حجماً بين يدي الله عزَّ وجلَّ بمجرّد الذكر والإقرار ، ولا يعفي منها إلاّ العمل نفسه

وإذا أقررنا أن واجب الجهر بالحق -كما جاء في الفصل الثالث- لا يحول دوننا ودون أدائه إلاّ خوف أو طمع ، والله أحق أن نخشاه وجنته أحرى بأن نطمع بها .. فما الفائدة من هذا الإقرار -ونحن نرى الخوف من الحاكم الظالم والطمع في مغريات الدنيا قائمان- إلاّ إذا تحوّلت الكلمات إلى استعلاء بالإيمان والإسلام على المخاوف والشدائد والمغريات ؟ ..

إنّ المشكلة الحقيقية هنا ليست مشكلة بيان (كيفية الجهر بالحق ومتى يكون) بقدر ما هي مشكلة خاصّة -إذا صحّ التعبير- أو مشكلة فردية ، قائمة بين المسلم ونفسه ، وحسابها قائم بين المسلم وربّه ..

وهذا ما يستشعر الكاتب بمسؤولية قوله وهو يخوض في بحث الجهر بالحق .. يقول لنفسه ولكلّ قارئ : لا حلّ لمشكلة الجهر بالحق إلاّ بأن يحاسب كلّ منّا نفسه ، ويتأمّل في واقعه الذي لا يعرفه تمام المعرفة إلاّ ربّه .. كما يعرفه هو من دون بقية الناس ، فإن وجد الواحد منّا نفسه من الذين يجهرون بالحق ، ولا يمتنعون عنه بمبرّرات مرفوضة فليحمد الله عزَّ وجلَّ وليضاعف جهده ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وإن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلاّ نفسه .. فالله عزَّ وجلَّ يحاسب على الأعمال مع الأقوال ويقول في الحديث القدسي : « ... **إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ** »(٩٠)

(*) **نشرت الحلقات السابقة في الأعداد ٣٩ و٤٠ و٤٢ و٤٥ من الرائد**

(٨٨) **[الرعد : ١١]**

(٨٩) **[الصف : ٢-٣]**

(٩٠) **رواه مسلم**